متى تراك عيني بقية الله - الحلقة الثانية

السبت: 18/6/2016م ـ 12 شهر رمضان 1437هـ

وصلت في الحديث في ختام حلقة يوم أمس إلى الآية 23 من سورة نوح
{وقالوا لا تذرنَّ آلهتكم ولا تذرنَّ وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسرا}. حادثة تحتاج إلى تفكّر وتدبّر عميقين جدّاً..

مَن هم هؤلاء (ود - سواع - يغوث - يعوق - نسر)؟!

هذه الأسماء هي لمجموعة من أولياء الله المُقرّبين ! سيّد الأوصياء يُحدّثنا عن هذه الأسماء الواردة في الآية 23 من سورة نوح، في رواية يتحدّث فيها عن فضيلة وتأريخ وخصائص مسجد الكوفة.

* حديث سيّد الأوصياء الذي ينقله لنا صادق العترة في [تفسير البرهان: ج8] والإمام يتحدّث فيه عن فضل مسجد الكوفة، ويذكر في الحديث هذه الأسماء التي وردت في الآية 23 من سورة نوح .. من جملة ما قاله عليه السلام: (منه سارت سفينة نوح، وكان فيه نسر ويغوث ويعوق وصلّى فيه سبعون نبيّاً، وسبعون وصيّاً أنا أحدهم).

(نسر ويغوث ويعوق) هؤلاء كانوا قبل نوح، هؤلاء كانوا من رموز الهداية في ذلك العصر، وهذه الأسماء هي نفسها المذكورة في الآية.

فمسجد الكوفة قبل زمان نوح.. وكان هؤلاء ممّن يرتادون هذا المكان [مسجد الكوفة].

- هذه الآية من سورة نوح تتحدّث عن آله {لا تذرنَّ آلهتكم} فما الذي حدث؟!

* وقفة عند [تفسير القمّي] لنعرف قصّة الآية 23 من سورة نوح { ولا تذرن ودّاً ولا سواعاً } قال: (كان قوم مؤمنون قبل نوح فماتوا فحزن عليهم الناس، فجاء إبليس فاتّخذ لهم صورهم - يعني صنع لهم تماثيل - ليأنسوا بها فأنسوا بها، فلمّا جاءهم الشتاء أدخلوها البيوت، فمضى ذلك القرن وجاء القرن الآخر، فجاءهم إبليس فقال لهم: إنّ هؤلاء الآلهة كان آباؤكم يعبدونها، فعبدوهم، وضلّ منهم بشر كثير، فدعا عليهم نوح فأهلكهم الله).

إذن هؤلاء من أولياء الله، حينما ماتوا حزن عليهم قومهم.. وهنا تدخل إبليس.

- نقطة مهمّة جدّاً: وهي أنّ إبليس لم يستطع إضلال هؤلاء، وإنّما خطّط للأجيال القادمة!

فلربما يأتي بمخطّط لجيل مِن الأجيال، والأجيال اللّاحقة هي التي تقع في الفخ.. يعني بداية الفخ تبدأ في جيل لم يكن ذلك الجيل ضالّاً، وإنّما كان مخدوعاً .. ولكن المُخطط الإبليسي يتمادى ويتمادى فيُدخل الأجيال القادمة في الضلال!

* إذا ما رصدنا الاختراق الفكري الناصبي في بدايات عصر الغيبة الكبرى فإنّه جاء بنفس هذه الطريقة، حتّى تحوّل هذا المنهج إلى صنم يُعبد في المؤسسة الدينية، وفي الساحة الثقافة الشيعية.

المُخطط الإبليسي لا يكون في ساعة أو ساعتين إذا كان المخطط يتعلّق بأجيال وبأمم.

* من أخطر الأبواب التي يدخل إبليس منها: أن يدخل مِن باب الصلاح !

أن يدخل مِن باب الدين.. فجاء إلى هؤلاء الناس الذين حزنوا واشتاقوا وأحبّوا هذه الشخصيات.. فقال: أنا أصنع لكم تماثيل لهؤلاء لتطفي شيئاً مِن حرارة شوقكم إليهم، ولتأنسوا بها، فصنع لهم تماثيل ووضعوا هذه التماثيل في الساحة العامّة أمام بيوتهم. ولكن حين جاء الشتاء لم يستطيعوا الجلوس أمام هذه التماثيل فأدخلوها بيوتهم ووضعوها في مكان مُسقّف حتّى يستطيعوا أن يزوّروا هذه الأصنام، وكانت هذه البداية لنشوء المعبد !! (الجيل الأوّل إلى هنا .. ولم يستطع أن يفعل شيئاً آخر)

* مات الجيل الأوّل، وجاء جيل آخر.. فجاءهم إبليس بطريقة جديدة وأسلوب يتناسب وذلك العصر،

فأقنعهم أنّ آباءهم كانوا يعبدون هذه الأصنام (وقطعاً بيّنّ لهم الأمر بالتدريج) وهكذا حتّى تحوّلت هذه الصور والتماثيل إلى آلهة تُعبد من دون الله ! وما يجري في الأمم السابقة يجري في الأمّة !

* من مزايا ومواصفات المخطط الإبليسي:

- أنّه طويل المدى

- أنّه جاء من طريق الدين
- أنّه جاء من طريق الصالحين

من هنا استطاع إبليس أن ينفذ إلى المجتمع، وأن يُضلّ الأجيال .. والصالحون كانوا قلّة بانتظار (المُنقذ) وهو نوح النبي!

* وقفة عند مقطع من أحد الأدعيّة النهارية التي يُستحب قراءتها في نهار شهر رمضان.. تتحدّث عن أساليب إبليس المختلفة التي يتّبعها لإغواء وإضلال الخلق.. يقول الدعاء: (اللّهم صلّ على محمّد وآل محمّد، وأعذني فيه من الشيطان الرجيم، وهمزه ولمزه، ونفثه ونفخه وبغيه، ووسوسته وتثبيطه، وبطشه وكيده، ومكره وحبائله، وخُدَعه وأمانيّه وغروره وفتنته، وشَرَكه وأحزابه وأتباعه وأشياعه وأوليائه وشُركائه، وجميع مكائده)!!

كلّ هذه الوسائل وكلّ هذه الأساليب يُوظّفها الشيطان الرجيم لكي يقود الإنسان إلى المتاهة وإلى المضلّة، خصوصاً إذا ترك الإنسان منطق العلم ومنطق العقل والتحقيق، وأعرض عن ثقافة الكتاب والعترة فإنّه سيكون لعبة بيد الشيطان كائناً من كان (سواء كان رمزاً دينياً كبيراً، أم كان شخصاً بسيطاً من بسطاء الناس، رجلاً كان أم امرأة .. شاباً كان أم شيخاً..) لا يختلف الأمر!!

* الشيطان بأساليبه المختلفة وطرقه وحيله يُخطط على المدى البعيد لإبعاد الشيعة عن منهج الكتاب والعترة، وقد نجح في ذلك كثيراً ! والدليل: أين هو منهج الكتاب والعترة؟ اسم وعنوان مِن دون مضمون!

وإذا ذهبنا نبحث عن المضمون فإنّنا نجد: الطبري، والفخر الرازي، وابن عربي، وسيّد قطب، والمعتزلة وفكر الأشاعرة، والفكر الإخواني بتفاصيله .. هذا هو الذي سنجده تحت هذا العنوان الكبير (الكتاب والعترة) !! (إبليس عنون الأمور بعناوين جميلة، ولكن المضامين مضامين فاسدة)!

* أليس هذه القواعد (قواعد علم الرجال وعلم الحديث وعلم الأصول وما يُسمّى بعلوم القرآن التي نقلها علماؤنا ومراجعنا من أعداء أهل البيت هي الحاكمة والمُتنفذّة اليوم في المؤسسة الدينية والمرجعية وفي دروس الحوزات العلميّة وفي عملية الاستنباط، وفي تشخيص مَن هو الأعلم، وغير ذلك..)!

* كلام سيّد الأوصياء في [بحار الأنوار: ج 51] وهو يتحدّث عن الجاهليّة التي يستقبلها إمام زماننا عليه السلام من الناس عند ظهوره الشريف: (اعلموا علماً يقيناً أنّ الذي يستقبل قائمَنا من أمر جاهليتكم وذلك أن الأمّة كلها يومئذ جاهليّة إلّا مَن رحم الله..)!!

- قول الإمام عليه السلام (وذلك أنّ الأمّة كلّها يومئذ جاهليّة إلّا مَن رحِم الله) عبارة خطيرة جدّاً !

يعني أنّ الغالبية والأكثريّة في هذه الأمّة عند ظهور الإمام هم في جاهليّة .. والقلّة القليلة جدّاً هي التي تكون بعيدة عن هذه الجاهليّة! وقد مرّ علينا كلام الإمام الصادق (مَن بات ليلة لا يعرف فيها إمام زمانه مات ميتة جاهلية)، والمضامين واحدة جليّة صريحة في الآيات وفي الكلمات المعصومية الشريفة.

* هذه الجاهليّة هي التي ستجعل الناس يتعاملون مع إمام زماننا بهذا الأسلوب الذي يُخبرنا عنه الإمام الصادق: (عن الفضيل بن يسار، قال: سمعتُ أبا عبد الله يقول: إنّ قائمنا إذا قام استقبل من جهل الناس أشدّ ممّا استقبله رسول الله مِن جُهّال الجاهليّة. قلت: وكيف ذاك؟ قال: إنّ رسول الله أتى الناس وهم يعبدون الحجارة والصخور والعيدان والخشب المنحوتة، وإنّ قائمنا إذا قام أتى الناس وكُلّهم يتأوّل عليه كتاب الله، يحتجّ عليه به..) الرواية تتحدّث عن صنميّة المنهج، فإنّ إبليس إذا أراد أن يختار أسلوباً لشيعة أهل البيت، فهل سيختار أسلوباً كالأسلوب الذي اختاره لقوم (ود وسواع يغوث ويعوق ونسر)؟!

ذاك الأسلوب كان مُناسب لتلك المرحلة. أمّا في هذه المرحلة فيختار صنميّة المنهج التي تقود إلى صنميّة الرجال/ الرموز/ المراجع !!

* وقفة عند حديث أبي حمزة الثّمالي مع الإمام الصّادق في [معاني الأخبار]:

(قال أبو عبد الله عليه السّلام: إيّاك والرئاسة، وإيّاك أن تطأ أعقاب الرجال، فقلتُ: جعلتُ فداك: أمّا الرئاسة فقد عرفتها - يعني عرفتُ أنّك تنهاني عن طلب الرئاسة -، وأمّا أن أطأ أعقاب الرجال- أي تبعتُ العلماء وأهل العلم

وتعلّمت منهم- فما ثلثا ما في يدي إلّا ممّا وطئتُ أعقاب الرجال، فقال: ليس حيث تذهب، إيّاك أن تنصب رجلاً دون الحُجّة فتصدّقه في كلّ ما قال) !
أنهاك أن تنصب صنماً فتصدّقه في كلّ ما قال..

● قول الإمام عليه السلام (فتصدّقه في كلّ ما قال) أي أن تُصدّق منهجه .. بحيث ترى منهجه منهج معصوم لا يمكن أن يكون خاطىء أبداً، فهذا إعراض عن الإمام الحجة !

* صنميّة المنهج وصنميّة صاحب المنهج .. هذا هو المطب الذي وقعت فيه الشيعة ! ولذلك نجد في التأريخ الشيعي مراجع يسفكون دماء بعضهم البعض، مراجع يُكفّرون بعضهم البعض، ومراجع يُفسّقون بعضهم البعض، ومراجع يفترون بعضهم على البعض الآخر!!
هذه القضيّة واضحة على طول الخط، وإلى يومك هذا والشيعة تتقسّم إلى مجموعات، وكل مجموعة تلتحق بمرجع من المراجع ولابدّ أن تُعادي المجاميع الأخرى !!

* إذا كان الشيعي يُعرض عن إمامه فينصب رجلاً، مرجعاً، قائداً سياسياً، زعيماً مُجتمعيّا، فينصب رجلاً دون الحجّة فيُصدّقه في كلّ ما يقول إنّه قد صنع ونصب وأقام صنماً ! صنمية الرموز الدينية تحت عنوان أنّ هذه الرموز تنوب عن الإمام الحجّة، وتمثّل أهل البيت عليهم السلام (العنوان جميل ولكن الواقع شيء آخر !). الواقع العلْمي والعملي يُحدّثنا عن منهجية خاطئة بعيدة عن منطق [الكتاب والعترة]، والشيعة تتمسك بهذه المنهجيّة بشكل مُطلق!!
فالشيعة قطعت على أنَّ هذه الرموز لابدّ أن تُصدّق في كلّ ما تقول، وأنّ هذه المنهجية غير قابلة للخطأ، وأنّ هؤلاء الرموز ينوبون عن الإمام الحجّة عليه السلام بكلّ هذه الأخطاء والاشتباهات وبكلّ هذه الأوصاف التي تتعارض مع الأوصاف التي يُريدها أهل البيت عليهم السلام.. ومِن أوضح هذه الأوصاف التي يُريدها أهل البيت عليهم السلام هي أن المراجع والقادة لا يعملون بقانون الولاء الشخصي. وإنّنا لا نجد أحداً مِن مراجعنا وعلمائنا لا يعمل بهذا القانون وبشكله الفاضح !!

* وقفة عند مقطع من رواية الإمام الصادق في تفسير الإمام الحسن العسكري، والتي يُحدّثنا فيها عن مراجع تقليد عند اليهود ومراجع تقليد عند الشيعة، يقول عليه السلام
(وكذلك عوامُّ أمّتنا إذا عرفوا من فقهائهم الفسق الظاهر، والعصبية الشديدة والتكالب على حُطام الدنيا وحرامها، وإهلاك مَن يتعصّبون عليه وإن كان لاصلاح أمره مستحقا، وبالترفّق بالبرّ والاحسان على من تعصّبوا له، وإن كان للإذلال والاهانة مستحقا..). الأئمة يعدّون هذه الصفة (وإهلاك مَن يتعصّبون عليه وإن كان لاصلاح أمره مستحقا، وبالترفّق بالبرّ والاحسان على من تعصّبوا له، وإن كان للإذلال والاهانة مستحقا) مِن العلامات البيّنة في ضلال مرجع التقليد!

* حينما يُعقد هنا في لندن أو في مناطق أخرى، حينما يُعقد مجلس بإسم المرجع الذي تنتسب هذه الحسينية أو ذاك المركز إلى خطّه أو إلى منهجه في ذكرى وفاته، وفي المناسبات المرتبطة بحياته يحيرون ماذا يصنعون من ديكورات، ومن زينة وماذا يُقدّمون من أطعمة وضيافة وغيرها، يحيرون .. لأنّهم يُقدّمون ذلك للصنم ! لكن في ولادة الإمام الحجّة تكون المناسبة عاديّة كبقيّة المناسبات !!! هذه صنميّة، وإعراض بالوجه عن الإمام الحجّة .. هؤلاء ليسوا من الأولياء !
أولياء الله يتوجهّون إلى وجه الله .. أمّا هؤلاء مِن سوء الأدب أنّهم حينما يتوجهون إلى وجه الله يُعرضون عنه، ويتوجّهون إلى غيره، إلى أناس غير معصومين كلّهم أخطاء !!

* أنتم يا شيعة بلسان (القال) تُخاطبون الأئمة هكذا: (القول منّا ما قاله آل مُحمّد فيما بلغنا عنهم وفيما لم يبلغنا). أمّا بلسان (الحال) فأنتم تقولون هذا القول لمراجعكم ولعلمائكم وخطبائكم ولقادتكم السياسيين، تقولون لهم (القول منّا ما تقولونه أنتم فيما بلغنا وفيما لم يبلغنا، فيما أسررتم وفيما أعلنتم) هناك دفاع مُستميت عن منهج بشري!!

● نحن ندافع دفاع مُستميت عن منهج الكتاب والعترة لا عن فهم العلماء .. فَهْم العلماء فهم بشري .. فَهْم العالم يتغيّر، ويتقلّب ؛ لأنّه فَهْم بشري.. ولذا التسليم فقط لقول المعصوم.

* وقفة عند حادثة مهمّة جدّاً يذكرها الشيخ الغزي غيّرت وجه الثقافة الشيعية .. (الحادثة مرتبطة بنفي الانكليز للعلماء الذين عارضوا الوجود الإنكليزي في العراق، فحُكم عليهم بالنفي إلى إيران.. وتبعات القرار الشخصي الذي اتّخذه بعضهم بشأن العودة للنجف بعد قبول شرط العودة، وكيف أثّر هذا القرار الشخصي بتغيير وجه الثقافة الشيعية!!)

● حكمة الصوم هي أن يكون صاقلاً للإنسان في أن يتوجّه إلى إمام زمانه.

* أدعية شهر رمضان الطويلة والقصيرة كلّها تربطنا بإمام زماننا من أوّلها إلى آخرها، حتّى أدعية الحج، لأنّ الحكمة مِن الصيام تثبيت الاخلاص، وما تثبيت الإخلاص إلّا بتحطيم الأصنام (الصغيرة والكبيرة)

● الانقطاع عن الطعام والشراب وسائر الشهوات هو عملية تمرين على تكسير الأصنام ؛ لأنّ الإنسان يخرّ ساجداً أمام هذه الشهوات (الأصنام) فلابدّ من تكسيرها.. وهذا نوع مِن أنواع الارتياض حتّى يستطيع الإنسان أن يُكسّر الأصنام الأكبر.

* وقفة عند حديث الإمام الصادق عليه السلام في [معاني الأخبار] مع سفيان بن خالد
(قال أبو عبد الله عليه السلام: يا سفيان إيّاك والرّئاسة، فما طلبها أحد إلّا هلك، فقلت له: جعلتُ فداك .. قد هلكنا إذاً، ليس أحد منّا إلّا وهو يحبّ أن يُذكر ويُقصد ويُؤخذ عنه، فقال: ليس حيث تذهب إليه، إنّما ذلك أن تنصب رجلاً دون الحُجّة فتصدّقه في كلّ ما قال، وتدعو الناس إلى قوله)

* أدلّ دليل على سفاهة عقولكم وحماقتكم وجهلكم يا شيعة هو أنّكم تضعون أناس عاديين في مقام الإمام المعصوم. إذا كنتم تبحثون عن الإخلاص فإنّ الخلاص هو في التوجه إلى وجه الله (أين وجه الله الذي إليه يتوجّه الأولياء).. أمّا إذا لم تتوجّهوا إلى وجه الله فإنّكم داخلون تحت عنوان (الهمجج الرعاع) ! فهم صلوات الله عليهم قالوا: نحن العلماء، وشيعتنا المُتعلّمون، وسائر الناس همج رعاع! الهمج الرعاع أسوأ مَن فيهم هو مَن ينصب رجلاً دون الحجّة فيُصدّقه في كلّ ما قال ويدعو الناس إلى قوله.

* إذا كنتم تُريدون الجلوس على مائدة الحجّة بن الحسن فأنتم تحتاجون إلى ثوب نظيف، وهذا الثوب النظيف هو الصيام الزهرائي (الصيام تثبيت للإخلاص).. يكون الصيام تثبيتاً للإخلاص حينما يكون عامل مساعد في تكسير الأصنام.

* وقفة عند رواية الإمام الكاظم عن آبائه عن سيّد الأوصياء عن سيّد الكائنات "صلّى الله عليه وآله"، يقول فيها: (بعثتُ بين جاهليتين، لأُخراهما - هذه التي نحن نعيش فيها - شرٌ مِن أولاهما) كلمة في غاية الخطوة !
إيّاك إيّاك أيّها الشيعي أن تنصب رجلاً دُون الحجّة، فتصدّقه في كلّ ما قال، وتدعو الناس إليه .. إذا كنت كذلك فليس لك مِن صومك إلّا الجوع والعطش!